الدراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد السادس ديسمبر ٢٠٠٩م (طبع في يونيو ٢٠١٠م) (ص ٩٩-١١٢)

الدفاع عن شبهات المستشرق "سيل" حول إعجاز القرآن الكريم

إعداد: محمد رشيد زاهد*

ملخص البحث : لما كان إعجاز القرآن الكريم أول دليل علي ربانية القرآن و إلهيته، وبه ثبوت صدق رسالة النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ ولذا وجه المستشرقون نحوه معاول هدمهم وتشكيكاتهم بالطعن في ربانية مصدره تارة، وفي إعجازه وفصاحته تارة أخرى. وتعددت شبهاتهم وإفتراءاتهم حول هذه القضية فأردت أن أناقش في هذا البحث ما أورده المستشرق "سيل" ١ من الشبهات والمطاعن حول إعجاز القرآن الكريم.

وقسمت هذا البحث إلى مبحثين مهمين. المبحث الأول يتعلق بإعجاز القرآن وأوضحت فيه مفهوم إعجاز القرآن الكريم، والمعجزة ، والقدر المعجز منه بإيجاز. والمبحث الثاني عالجت فيه أهم الشبهات والمطاعن التي أثارها المستشرق "سيل" حول إعجاز القرآن الكريم من أن القرآن فيه كلام متعارض، وكلام مبتور، وفيه أغلاط تاريخية، وأخطاء أدبية، ومشحون بأمور محمد الشخصية، واشتماله على التكرار مما يخل بإعجاز القرآن وفصاحته وغير ذلك من الشبهات ، فقمت بمناقشتها مناقشة علمية هادئة، ودراستها دراسة تحليلية لكل شبهة، ثم ردها بأدلة قاطعة مقنعة، وفي الأخير سجلت نتائج البحث وثمراته.

المبحث الأول : حول إعجاز القرآن الكريم

مفهوم إعجاز القرآن الكريم :

الإعجاز في اللغة العربية هو نسبة العجز إلى الغير، قال تعالى : (... أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فاصبح من النادمين) (المائدة: ٣١) وتسمى المعجزة معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنها أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة فإعجاز القرآن معناه : إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله. [٢]

---

* أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ.

مفهوم المعجزة :

والمعجزة في اللغة من أعجز وعجز وهو ما يقابل القدرة. والهاء فيها للمبالغة وفي المعجم الوسيط: عجز عن الشيء : ضعف ولم يقدر عليه. [٣] وعرف العلماء المعجزة بقولهم : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة يظهره الله على يد رسله. [٤]

إذا فالمعجزة أمر خارق للسنة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون ولاتخضع للأسباب والمسببات ولايمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي. وإنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق رسله وأنبيائه الذين أكرمهم بالرسالة. والمعجزات إذا هي براهين من الله سبحانه إلى عباده بصدق رسوله وأنبيائه فكأن الله تعالى بواسطة هذه المعجزات يقول : صدق عبدي فيما بلغ عني وأنا أرسلته ليبلغكم ذلك. والدليل على صدقه أن أجري على يديه خوارق للعادات مما لايستطيع أحد منكم أن يأتي بمثله. و ليس بمقدورأحد من الناس أن يجاريه في مثل هذا الأمر العجيب ذلك هو مفهوم الإعجاز.

متي يتحقق الإعجاز :

ولايتحقق الإعجاز إلا إذا توافرت ثلاثة أمور وهي أولا : **التحدي أي طلب المباراة والمعارضة**، ثانيا : أن يكون الدافع إلى رد التحدي قائما. ثالثا : أن يكون المانع منتفيا.

القدر المعجز من القرآن :

قبل أن نذكر أقوال العلماء في القدر المعجز من القرآن نريد أن نلقي نظرة سريعة على مراحل التحدي بالقرآن والتدريج فيه. فبعد أن صدع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدعوته في بطحاء مكة.ودعا الناس إلى عبادة خالق الكون ومبدعه ونبذ عبادة الأصنام. طالبه المشركون بالدليل على صدقه. قال : دليل صدقي هو هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد. وهو يحمل في طياته برهان صدقه. لأنه لا يـأتي لأحد كم المخلوقين أن يفتري على الله **(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)** (يونس: ٣٧).

وبين لهم أنهم يدركون العجز من أنفسهم أن يأتوا بمثل القرآن كما يعرفون عجز محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا. لأنه نشأ بينهم أميا لم يتعلم العلم على أحد من البشر فإذا كانوا ـ وهم أصحاب البلاغة وفرسان الفصاحة ـ ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال وغيرها من أفانين القول ، إذا

كانوا يعجزون عن الإتيان بمثل القرآن فكيف يتهمون محمدا الأمي بأنه تقوله أو افتراه من عند نفسه؟ قال تعالى : ﴿...أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ (الطور: ٣٣-٣٤).

ولم يتركهم القرآن يقولون قولتهم وينصرفون بل لاحقهم بقوارع تنبيهاته وألهب مشاعرهم بأعنف الكلمات وسجل كذبهم وافتراءهم في مزاعمهم وعجزهم المطلق في هذا الصدد. ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الإسراء : ٨٨)

وعند ما ضاقت عليهم الحيلة وسدت في وجوههم السبل طرقوا كل باب في الإدعاء والافتراء والبهتان لشدة حرصهم على إبطال شأن القرآن والتشكيك في ربانية مصدره فقالوا : ﴿أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا﴾ (الفرقان: ٥) ثم قالوا إن الذي يعلمه ليس من قريش وإنما هو رجل لديه علم لم تعلمه قريش ولكن أنى لأعجمي أن يأتي ببيان معجز للعرب الفصحاء؟ ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمهم بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾. [النحل : ١٠٣]

ولم يكتف القرآن الكريم بتسجيل العجز مجتمعين بل أثارهم فرادي وسجل على زعمائهم الخزي والعار واقرأ ما ورد في شأن الوليد بن المغيرة (... فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر...) (المدثر: ١١-١٢) ومثل ذلك ما نزل في شأن أبي جهل وأبي لهب وغيرهم من الكفار. ولم يطلبهم القرآن بشيء من حقائق الكون والتاريخ ومن قصص الأنبياء الغابرين وشأن الألوهية وكمالاتها وأمهات الأخلاق ومقومات الحضارة وإنما عليهم أن يأتوا بمثل عشر سور من سور القرآن وليفتروا موضوعاتها كما يشاؤن على أن تكون في فصاحة القرآن وبلاغته : ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فأن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ (هود : ١٣-١٤)

وفي خاتمة المطاف رضي منهم بأقل من ذلك فاكتفي بسورة مثل أي سورة من سور القرآن الكريم ولم يحدد لهم نوعية السورة بل تركها لرغبتهم سواء كانت سورة قصيرة أو طويلة جاءوا بها منفردين أو مجتمعين. قال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين... ﴾ (يونس : ٣٨) وسجل القرآن العجز المطلق لكل المخلوقين إلى يوم القيامة. ولازالت أصداء هذا التحدي مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وستبقي أصداؤه في أذن الزمن على مر العصور ليبرهن على خلود الرسالة وصدق صاحبها : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من

مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فأن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (البقرة : ٢٣-٢٤)

ومن هذا العرض الموجز لمراحل التحدي نجد أن التحدي استقر على تحديهم بأن يأتوا بمثل سورة من القرآن الكريم.

وبما أن السورة جاءت بلفظ نكرة (بسورة) فهي تشمل كل سورة في القرآن طويلة أو قصيرة فيكون القدر المعجز من القرآن هو السورة من القرآن الكريم طويلة أو قصيرة هذا هو رأي جمهور العلماء إلا أن بعضهم زاد على ذلك : أن مقدار السورة القصيرة وهي ثلاث آيات معجز أيضا.

ونقل عن بعض المعتزلة قولهم : أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لابيعضه وهذا الرأي مصادم لآيات التحدي التي تدرجت في التحدي بكل القرآن إلى التحدي بعشر سورثم إلى التحدي بسورة واحدة.

وذهبت طائفة أخري إلى أن الإعجاز في القليل والكثير من القرآن دون تقييد بسورة واستدلوا بظاهر قوله تعالى. "فليأتوا بحديث مثله" وقالوا المقصود بالحديث أي كلام يفيد معني سواء كان أية أو أكثر أو أقل. ورأي الجمهور هو الرأي الذي يظاهره ويؤيده ظاهر مراحل التحدي [٥]

ومع اعتقادنا بأن القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة أو هندسة أو فيزياء . وإنما هو كتاب هداية وإرشاد وتشريع وإصلاح ولكن مع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الدقيقة والحقائق الخفية إلى بعض المسائل من الطبيعة والطبية والجغرافية مما يدل على إعجاز القرآن وكونه وحيا من عند الله فمن المقطوع أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أميا لايقرأ ولايكتب وأنه نشأ في بيئة بعيدة عن مظاهر الحضارة. حيث لم تكن علوم ولامعارف ولا مدارس تقرأ فيها العلوم الكونية. لأن قومه وعشيرته كانوا أميين ومع ذلك فإن النظريات العلمية التي أشار إليها القرآن لم تكن معلومة في عصره ولم يكتشف العلم أسرارها إلا منذ زمن قريب. وذلك من أصدق البراهين على أن هذا القرآن ليس من تاليف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يزعم أعداء الإسلام من الغربيين والمستشرقين وإنما هو وحي من الله أنزله على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين.

المبحث الثاني : شبهات المستشرق "سيل" حول إعجاز القرآن الكريم

وفي هذا المبحث نذكر أهم شبهاته حول إعجاز القرآن الكريم ثم نناقشها مناقشة هادئة ونقوم بالرد عليها بالأدلة القاطعة والمعقولة.

الشبهة الأولى :

زعم المستشرقون وعلى رأسهم المستشرق "سيل" أن القرآن فيه كلام متعارض مما يدل على أنه ليس من عند الله سبحانه في شيء، لأن الله لايعارض نفسه ولاينقض بعض كلامه بعضا، ومصنف القرآن نفسه يقول عن كتابه ،لأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، ونحن نجد فيه اختلافا كثيرا مما يدل على أنه ليس من عند الله [٦] واستدل "سيل" لذلك ببعض الأمثلة وسأرد عليها بعد قليل.

الشبهة الثانية :

نسب المستشرق "سيل" للقرآن الكريم الغلط في بعض الحوادث التاريخية وأسماء مشاهير رجالها وجهله من أمور الطبيعة مالا ينبغي جهله كل ذلك يدل على أنه ليس من الله في شيء. [٧]

الشبهة الثالثة :

زعم المستشرق "سيل" أن مما يبطل إعجاز القرآن الكريم أن فيه مضامين لايمكن أن تكون مما أوحى به الله سبحانه واستدل على ذلك بعدة أدلة منها قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الإسراء : ١٦)

فاعتبر "سيل" أن هذا مخالف للعدل الإلهي، لأن الله سبحانه لايأمر بالفسق فكيف يأمرهم ثم يهلكهم على ذلك فيكون هذا الإهلاك ظلما. [٨]

الشبهة الرابعة :

زعم المستشرق "سيل" أن مما يتنافى مع إعجاز القرآن شحنه بأمور محمد الشخصية وكثيرا ما نزلت سور منه برمتها فيما لايهم أحد غيره وغير أهله وقد ذكر على ذلك عدة أمثلة كسورة الأحزاب والتحريم والنور وغيرها.

الشبهة الخامسة :

زعم المستشرق "سيل" أن مما يبطل إعجاز القرآن وجود كلام مبتور في القرآن الكريم وضرب على ذلك عددا من الأمثلة. فنذكر منها البعض :

المثال الأول :

قال في سورة الحج : (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) (الحج: ٢١).

قال "سيل" هذه الآية تعاب من وجهين : أ – أنه عطف فيها المضارع على الماضي فقال : إن الذين كفروا ويصدون وكان الأفضل في هذا الموطن أن يقول : وصدوا . ب – أنه لم يأت بخبر إن فلم يتم الكلام بل بقي سامعه منتظرا شيئا [٩]

الشبهة السادسة :

زعم "سيل" أن مما يبطل دعوى الإعجاز في القرآن "التكرار" وذلك. لأن أهل العلم قالوا : إن تكرار اللفظ بلا ضرورة يخل بالفصاحة والقرآن مشحون بذلك. [١٠]

الردود العلمية على شبهات "سيل"

مناقشة الشبهة الأولي والرد عليها :

ونقول بنسبة هذه الشبهة بأن القرآن جاء معجزة لنبينا – محمد – صلى الله عليه وسلم ليشهد على صدقه وصحة نبوته، لذا اشتمل القرآن الكريم على ثلاثة أمور دالة على صدق محمد – صلى الله عليه وسلم فصاحته. واشتماله على الإخبار عن الغيوب. وسلامته عن الاختلاف قال تعالى(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)(النساء : ٨٢).

فمن تدبر القرآن وجده سليما من الاختلاف لامنافاة ولامناقضة بين شيء من آياته ومعانيه البتة مع أنه كتاب كبير مشتمل على كثير من المعاني على نفس الرتبة من الفصاحة لا فرق بين مكيه ومدنيه ولا آيات عقائده أو آيات تشريعاته .....

فلما كان هذا القرآن نسجا واحدا في فصاحته وبلاغته ونظمه وكان كله بالغا حد الإعجاز علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لايقدر عليه غيره عالم بما لايعلمه أحد سواه وهو الله سبحانه وتعالى. وعدم وقوف بعض الناس على هذا الجانب في كتاب الله – سبحانه – عائد لعجزهم وضعفهم وقصورعلمهم لا لضعف في كتاب الله ولاتدافع ولاتناقض في آياته.

وذكر المستشرق "سيل" بعض الأمثلة على التعارض في كتاب الله منها :

المثال الأول : قال تعالى في سورة النحل عن القرآن : (لسان عربي مبين) (النحل: ١٠٣) والمبين مالا يحتاج إلى تأويل . فنقض ذلك بقوله في سورة آل عمران [١١] أنه فيه آيات متشابهات وأنه (لايعلم تأويله إلا الله) (آل عمران : ٧).

الرد على هذه الشبهة :

الأيتان ليس بينهما تناقض. فالآيات قسمان: قسم محكم : وهو البين والواضح الذي لايحتمل تأويلا وهذا يؤيده أية النحل السابقة. وقسم متشابه : وهو الذي يحتمل أكثر من وجه. وهذا الذي يخفى على كثير من الناس. ولايعلم تأويله إلا العالمون. ويؤيده آية آل عمران قال تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات...) (آل عمران : ٧) فالحكمة اقتضت أن تكون آيات الكتاب قسمين. قسم يفهمه عامة الناس وقسم لايفهمه إلا العالمون.

والحكمة في تنزيل المتشابه من الآيات لإظهار فضل العلم والعلماء. ومن أجل التنافس في تعلم كتاب الله عز وجل. وابتلاء واختبارا لإيمان الناس. قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) (آل عمران : ٧). وأما العالمون المؤمنون به (يقولون آمنا كل من عند ربنا) كما أن الله سبحانه وتعالى : بين أن في كتابه آيات يحتاج الناس إلى من يبينها لهم كبيان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لصحابته قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (النحل : ٤٤).

وقد وضح ابن عباس – رضي الله تعالى عنه – هذا الأمر بقوله "التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها. وتفسير لايعذر أحد بجهالته. وتفسير يعلمه العلماء. وتفسير لايعلمه إلا الله تعالى" [١٢]

وكان يشكل بعض معاني القرآن الكريم على بعض الصحابة فيلتجئون لبعض علماء الصحابة لتوضيح ما غمض وأشكل عليهم فقد روي البخاري بسنده إلى سعيد أن رجلا قال لابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال (فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون) (المؤمنون: ١٠١). (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) (الصافات : ٢٧). فقال ابن عباس : فلا أنساب بينهم في النفخة الأولى. ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ولايستاءلون. ثم في النفخة الأخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .... فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا منه عند الله [١٣] فمن هنا يظهر لنا بطلان شبهة "سيل" بما استدل به من تناقض بين هاتين الآيتين.

المثال الثاني على التعارض في القرآن الكريم حسب زعم "سيل"

قال في سورة يونس خطابا لفرعون وقد اتبع بني اسرائيل بغيا حتى أدركه الغرق (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) (يونس : ٩٢). ويترتب على هذا الكلام أن الله نجي فرعون من الغرق فنقض ذلك بقوله في سورة الإسراء (فأغرقناه ومن معه جميعا) (الإسراء : ١٠٣) وبقوله في سورة القصص (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم). (القصص : ٤٠) فالآية تدل على نجاة فرعون من الغرق بعد ما أشرف عليه حتي يكون أية لمن خلفه من المصريين وهذا هو المعنى الذي أراده القرآن وإن كره المفسرون الذين فسروه أنه ألقي بدنه مجردا من الروح على نجوة ليكون آية لبني إسرائيل .... [١٤]

مناقشة هذه الشبهة والرد عليها :

وهذه الآيات أيضا ليس بينها شيء من التناقض فآيتا سورة الإسراء والقصص صريحتان في موت فرعون غرقا. أما الآية الثالثة التي وقع فيها اللبس بالنسبة لـ "سيل" فهي موافقة لما في الآيتين من المعنى. فهذه الآية جاءت لتصور ما كان في نفوس بني إسرائيل لفرعون من مكانة ومهابة حتى إنهم تصوروا أنه لايغرق لأنه رب — على حد زعمهم — ولم يصدقوا غرقه حتى شاهدوه بأعينهم مقذوفا من البحر على مرتفع من الساحل فكان في ذلك أبلغ العبرة لنصرة الله لهم وتأييده للمؤمنين. [١٥]

فالآية إذن لاتوافق فهم "سيل" وتعسفه في تفسير النص فيكون معنى (لتكون لمن خلفك) أي علامة لمن وراء ك من بني إسرائيل لأنه طرح على ممرهم من ناحية البحر.

وإذا كان النصاري يمرون بقصة غرق فرعون بصمت، فإن التوراة قد أشارت لموته فقد جاء في سفر الخروج : "..... فإن ضل فرعون دخلت بمركباته وفرسانه إلى البحر ورد الرب عليهم ماء البحر. وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر. [١٦]

وجاء في الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر : "..... مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر ففرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف تغطيهم اللجج قد هبطوا في الأعماق كحجر .... " وفي عبارة أخري : " كالرصاص في مياه غامرة " [١٧]

فهذا يؤكد ما جاء في القرآن الكريم حيث أشارت التوراة لغرقهم وعلى رأسهم فرعون الذي كان رأس جيشه. كما أشارت أنهم ترسبوا في قاع البحر كالرصاص أو الحجارة التي تستقر في قاع البحر. ولكن

القرآن هو الذي انفرد بالإشارة لطفوجثة فرعون وإلقائه على ساحل البحر على نجوة من ممرهم لتحقق الآية في ذلك وهو قدرة الله سبحانه وتفرده في ربوبيته وبطلان دعوى فرعون أنه "رب".

وقد أكد العلم الحديث صدق ماورد في القرآن الكريم حيث اكتشف علماء الآثار في أواخر القرن التاسع جثث الفراعنة في وادي الملوك في "طيبا" في الضفة المقابلة للأقصر من النيل في مصر ومن بينها جثة فرعون الخروج واسمه "منفتاح" ابن رمسيس الثاني الذي هو فرعون الاضطهاد وقد احتفظ بجثة فرعون هذا في صالة المومياء الملكية في المتحف المصري في القاهرة. [١٨]

وقد قام الأستاذ "موريس بوكاي" مع مجموعة من الأطباء بفحص جثة فرعون فحصا تشريحا قانونيا ليخرجوا بنتيجة مذهلة وهي وفاة فرعون غرقا ونجاة جثته من الرسوب في قاع البحر إلى الطفو والإلقاء على الساحل لتكون آية لمن يأتي بعده من أهل القرآن مخالفا في ذلك لفهم "سيل" والأستاذ "كورواييه" الأستاذ في المدرسة التوراتية في القدس حيث قال : "أشار القرآن السورة العاشرة آية ٩-٩٢ إلى ذلك فرعون مع جيشه قد غرق حسب الأعراف الشعبية (وهو ما لم يقله النص المقدس) واستقر في عمق البحر وتحت سلطة أركان بحريته "الفقمة"[١٩]. والنص كما في التوراة ..... مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحرفغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف تغطيهم اللجج.... كما مر قبل قليل ولكن أين كلام "سيل" وكوراوييه" من كلام الأستاذ بوكاي الذي ختم بحثه القيم بقوله عن فرعون .... **الإنسان الذي عرف موسى وقاوم عروضه ولاحقه في** هربه. ثم فقد حياته في ذلك وقد نجحت جثته بإرادة الله من العدم واصبحت آية للناس كما قد سجل القرآن ذلك. يا لها من التماعة عجيبة للآيات القرآنية تلك المختصة بجسد فرعون المعروض في صالة المومياءات الملكية للمتحف المصري في القاهرة والتي تقدم لكل باحث في معطيات الاكتشافات الحديثة براهين صحة الكتابات المقدسة. [٢٠]

مناقشة الشبهة الثانية والرد عليها :

وضرب المستشرق "سيل" بنسبة الشبهة الثانية مجموعة من الأمثلة وسنذكر منها مثالين مع رد علمي مقنع عليهما.

المثال الأول :

تسمية القرآن لأبي إبراهيم "أزر" مع أن اسمه "تارح"

الجواب : زعم "سيل" أن اسم أبي إبراهيم – عليه السلام – هو "تارح" ولكنه لم يقدم لنا دليلا واحدا صحيحا أنه لايحتمل إلا هذا الإسم كما أنه لم يذكر مرجعا إلا التوراة ولاشك في ما أصاب التوراة من تحريف وتبديل ونقص إلى غير ذلك من العيوب التي تفقدها أهلية التوثيق إذا انفردت ونحن نقرر بأن القرآن هو المصدر الموثوق به بشهادة التاريخ والواقع والعلم الحديث وقد سماه "بآزر".

وعلى فرض صحة رواية التوراة فيمكن لنا تبريرها بما يلي :

١– أن يكون لأبي إبراهيم اسمان الأول "آزر" والثاني : "تارح" أو اسم ولقب فآزر اسم وتارح لقب وهذا قول الحسن من المتقدمين.

٢– أن يكون نطق "آزر" في العبرية "تارح" والأعلام قد يختلف بها بين اللغات اختلافا جوهريا "كشاول" في التوراة هو "طالوت" في العربية ومكة وأم القرى في العربية يطلق عليها "فاران" بالعبرية مع أن المسمى واحد. وهكذا فلا حجة لـ"سيل" فيما زعمه.

المثال الثاني :

دعا مريم العذراء بنت عمران واخت هارون وهي في الانجيل بنت هالي وبين مريم العذراء وعمران أبي موسى ألف وستمائة سنة [٢١]

الجواب :

كما قلت في المثال السابق أن المستشرق "سيل" لم يأت بدليل صحيح واحد لزعمه سوى الإنجيل. والأناجيل فيها من الإضطراب الشيء الكثير حتى في نسب من ينبغي أن لاتخطيء وهو عيسى – عليه السلام – وهذا واضح لكل مدقق فيها.

فإنجيل متى مثلا ذكره باسم يسوع بن يوسف النجار بن هالي وغير ذلك من الاخطاء التي تفقد الأهلية لأن تقف أمام دقة القرآن فيما جاء فيه من أخبار تاريخية على قلتها. والقرآن الكريم لم يعتن بهذا الجانب التاريخي إلا بما يحقق غرضه من إنزاله للبشرية أن تكون للعبرة والعظة وأخذ دروس في الهداية منها لاغير هذا كله من جهة.

ومن جهة أخرى من الذي قال لـ"سيل" إن القرآن يعتبر عمران أبا لمريم ولموسى – عليه السلام – لا ... بل العمرانان مختلفان وإن اتفقا في الإسم. فعمران أبو مريم – عليهما السلام – اسمه عمران بن ماتان بن أسعازار ابن أبي يود بن يوزن ... بن يعقوب – عليه السلام – وعمران أبو

موسى وهارون – عليهما السلام – اسمه عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب – عليه السلام – وبين العمرانين ألف وثمان مائة سنة [٢٢] وكذلك على سبيل المثال فإنجيل متى اعتبر المسيح من أولاد سليمان بن داود أما إنجيل لوقا فاعتبره من أولاد ناتان بن داود وإنجيل متى اعتبر آباءه إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين أما لوقا قال إنهم ليسوا سلاطين ولامشهورين غير داود وناتان.

وفي إنجيل متى عدد الرجال بين المسيح وداود ستة عشر رجلا أما في إنجيل لوقا فعددهم واحد وأربعون رجلا.... . وهكذا من الاختلافات والاضطرابات التي تفقد الأناجيل الثقة في أن تكون وثيقة تاريخية يرجع إليها.[٢٣] وقد كان عمران أبو مريم – عليهما السلام – رجلا عظيما بين علماء بني إسرائيل وقد توفي وابنته مازالت صغيرة فكفلها زوج خالتها زكريا – عليه السلام – وهو المذكور في سورة آل عمران.

لذا فما اعتمد عليه "سيل" في تخطئة القرآن الكريم على أساسه ليس بحجة له فيجب أن يدرك "سيل" وزمرته أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظ من التبديل والتغيير والأخطاء. لأنه سيد الكتب وخاتمها وقائد البشرية لنهاية الحياة الدنيوية وهو المحفوظ من الله عز وجل ولكن أنى للقلوب الحاقدة أن تدرك نور الإسلام وعظمة القرآن الكريم.

مناقشة الشبهة الثالثة والرد عليها :

ونقول بنسبة الشبهة الثالثة بأن الله سبحانه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين منزه عن الظلم قال تعالى (ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) (آل عمران : ١٨٢) فالله سبحانه لايصيب أحدا بعذاب دنيوي كان أو أخروي من غير إنذار علي أبلغ وجه وأكده بإرسال الرسل. وإنزال الكتب وذلك ليقيم عليهم الحجة وتنقطع الأعذار. قال تعالى : (ولو أهلكنا هم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (طه : ١٣٤).

ومعنى الآية إذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر لأخذهم بأسباب الهلاك كثر فيها المترفون فأمرناهم بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها فخرجوا عن الطاعة واستمروا في الفسق والعصيان فحقت سنة الله سبحانه وأصابها الدمار والهلاك وأصحاب القرية هم المسؤلون مما حل بهم لأنهم لم يضربوا على أيدي المترفين ويمنعوا فسادهم ويصلحوا

IIUC CENTRAL LIBRARY
ACC. NO:- 105324

من علاقاتهم بالله سبحانه وتعالى وكما هو معروف الرحمة تخص والعذاب يعم قال تعالى: (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (الأنفال : ٢٥).

فمن هنا يظهر عدل الله سبحانه وعدم ظلمه لأحد لأنهم شركاء في الفسق والعصيان وبمخالفة أوامر الله سبحانه وانتهاك حرماته قال تعالى: (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (النحل: ١١٨). ويستشهد لهذا بقراءة أمرنا بتشديد الميم بمعنى صيرنا هم أمراء. [٢٤]

مناقشة الشبهة الرابعة والرد عليها :

ونقول بنسبة الشبهة الرابعة بأن التركيز على ذكر الله سبحانه لحياة نبيه الخاصة والعامة في القرآن الكريم ليس من أجل شخص النبي — صلى الله الله عليه وسلم — ولكن لأجل أن كل جزء من حياته — صلى الله عليه وسلم — تعتبرتشريعا فقوله وفعله وتقريره يعتبر تشريعا. ولهذا كان أزواج رسول الله — صلى الله عليه وسلم – اللواتي شاركنه حياته الخاصة لا يكتمن شيئا منها ولايخفينه فإذا ما سئلت إحداهن عن أي جانب من جوانب حياته الشخصية — صلى الله عليه وسلم — يجبن السائل بكل صراحة ووضوح فما يدل على فهمهن وتقديرهن لمسؤولياتهن وواجباتهن ومعرفتهن أن حياتهن مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم — ليس ملكا خاصا لهن وإنما ملك للإسلام والمسلمين.

فرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليس كأحد من المسلمين وليس نساؤه كأحد من المسلمات. لأنه عليه الصلاة والسلام قدوة المسلم. وأزواجه المثل الأعلى للبيت المسلم بهن تقتدي وعلى طريقهن تسير نساء المسلمين. لذا خصت نساؤه بكثير من الآيات.

أما ما استشهد به "سيل" من قضايا لها علاقة بحياة المصطفى — صلى الله عليه وسلم — فذكرها في القرآن الكريم كان لما فيها من دروس تربوية وتشريعات إسلامية ينبغي لكل مسلم أن يتربى عليها فمثلا:

١- ذكر قصة الإفك في سورة النور لما في إشاعة المنافقين لها من زعزعة ثقة المسلمين بنبيهم وتشكيكهم بأخلاقه التي سما بها على كل خلق. كما بها آثاروا نار الفتنة في المجتمع المسلم لتفكيك وحدته وتوهين قواه.

أما الدروس التربوية في هذه القصة فكثيرة منها :

١- سد مواضع الخلل وتفقدها في هذا الباب المهم العظيم.

٢- كانت القصة سببا في وضع أسس النظام الاجتماعي وضعا يليق بمكانته.

٣- التثبت عند سماع الأخبار وعدم رماية الأبرياء.

٤- أبرزت السورة المنافقين ودورهم الخطير في هدم بنيان وأسس المجتمع الإسلامي.

٥- أكدت السورة أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يعلم الغيب. [٢٥]

٦- التأكيد على أن القرآن الكريم منزل من الله سبحانه وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليس له فيه إلا البلاغ.

٧- التأكيد على حرمة امهات المؤمنين ومكانتهن التي ينبغي أن تحفظ لهن.

٨- من هنا يظهر أن قصة كهذه لاتعتبر أمرا لايخص إلا النبي وزوجه كما زعم المستشرقون بل هي تخص المسلمين جميعا فمن هنا يظهر مقدار جهل "سيل " وسوء افتراءاته.

٢- أما المثال الثاني الذي استشهد به "سيل" قصة زواج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من زينب بنت جحش – رضي الله عنها – زوج ابنه بالتبني.

لم يكن "سيل " وحده الذي أثار هذه القصة حيث أثارها غيره من المستشرقين والمبشرين أمثال "موير" و"أرفنج" و"شبرنجر"و "مرجليوث" وغيرهم. حيث جعلوها قصة خيالية غرامية معتبرا بعضهم أن هذا من سفاح الأقارب.... [٢٦]

هذه القصة مما اعتمد عليها المبشرون والمستشرقون كثيرا ومما خاض فيها مؤرخو الإسلام والسيرة والتفسير كثيرا متأثرين بالروايات الواهية الضعيفة ومن هؤلاء الإمام الطبري والنيسابوري والبيضاوي والزمخشري وغيرهم. وليس هذا الموطن استطراد في هذه القصة ودراستها، وقد قام الأستاذ زاهر الألمعي بدراسة هذه القصة دراسة وافية ومناقشة أدلتها وروايتها وسبينا ما دخلها من الإسرائيليات والروايات الضعيفة المكذوبة في كتابه القيم (مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش).

فهذه القصة بما دخلها من أكاذيب وصلت إلى حد خدش عصمة الأنبياء ف "أميل درمغم" زعم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رآها سافرة شبه عارية فوقعت في نفسه و "غوستاف لوبون" و " مونتجمري وات" كذلك زعما أن حبه لها ساقه ليرقبها فرآها عارية . [٢٠] وهكذا من الروايات الإسرائيلية والمكذوبة التي لاتصون حرمة الأنبياء وتنزع عنهم ثياب الحشمة.

والفوائد في هذه القصة كثيرة منها :

١- إبطال نظام التبني غير المشروع الذي كان سائدا في ذلك الوقت فقد اقتضت الإرادة والحكمة الإلهية تحميل نبيه – عليه الصلاة والسلام – مؤونة إزالة أثار هذا النظام بتزوجه من مطلقة متبناه.

٢- كون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو القدوة دعي لأن يقوم بنفسه بالقضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية المنحرفة.

٣- لتقرير أن زوجة المتبني لاتكون محرمة على متبنيه.

٤- مكافأة السيدة زينب بنت جحش بطاعتها لله ورسوله وامتثالها لأمره بزواجها من زيد مع الفارق الاجتماعي بينهما زوجها – ربنا سبحانه لنبيه – صلى الله عليه وسلم – من فوق سبعة أرقعة. [٢١]

أما ما زعم هؤلاء المستشرقون فيرد بأكثر من طرق :

١- الروايات التي اعتمدوا عليها في خيالاتهم وادعاياتهم ضعيفة ومردودة. حسب بيان المحدثين المتخصصين بعلم الحديث.

٢- كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الذين يعرفون زينب بنت جحش معرفة تامة، حيث ربيت وكبرت تحت رعايته وعنايته وكان يراها وخاصة قبل نزول آيات الحجاب فلا حاجة له لأن يسترق النظر ليراها على صورة غير محتشمة فيدعوه ذلك لزاوجه منها.

٣- إن الذي قام بخطبتها لزيد هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم –فزوجه إياها. فلوكان الحب لها في قلبه كما يقولون لخطبها لنفسه بدلا من خطبتها لمولاه. وسيكون هذا من أحب الأمور لقلب زيد – رضي الله عنه – لما كان لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – من حب في قلبه.

٤- لقد تزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خديجة وهو في الثالثة والعشرين من عمره وهي في الأربعين وبقيت زوجة له ثماني وعشرين سنة حتى تخطى الخمسين من عمره ولم يعرف عنه وهو في ريعان فتونه وكمال رجولته أنه كان ممن تغريهم النساء وتأخذ بألبابهم حتى وصل لحد الشهوانية كما زعم المستشرقون.

٥- " وقد أبطل مزاعم هؤلاء المستشرقين المستشرق "توماس كارليل" عند ما صرح أن اتهام محمد بالشهوانية أمر لايصح عقلا ولا واقعا، حيث قال : "وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا، وأشد ما نجور ونخطيء إذا حسبناه رجلا شهوانيا لاهم له إلا قضاء مآربه من الملاذ كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أياكانت ..."[٢٩] وهذا الكلام إن دل على شيء فيدل على أن "الحق ماشهدت به الأعداء".

٦- هناك أمر آخر : أن زواج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من زينب بنت جحش مفروض عليه بنص القرآن قال تعالى : "ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له" وقال تعالى : فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها" فمجموع هذه الأدلة يظهر زيف وأكاذيب ما جاء به المستشرقون ويظهر مقدار أهمية ذكر مثل هذه القصة الاجتماعية في القرآن الكريم.

مناقشة الشبهة الخامسة والرد عليها :

ونقول ردا علي الشبهة الخامسة بأن شبهة "سيل" حول المثال الأول بأن عطف المضارع على الماضي فقد أجاب عنها العلماء بأقوال : أولها : أن يقال فلان يحسن إلى الفقراء ويعين الضعفاء لايراد به حال ولا استقبال. إنما يراد استمرار وجود الإحسان منه في جميع أزمنته وأوقاته فكأنه قيل (إن الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله، ونظيره قوله تعالى : إن الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) (الرعد: ٢٧).

ثانيها : قال أبو علي الفارسي : التقدير : إن الذين كفروا فيما مضي [٣٠] وهم الآن يصدون ، ويدخل فيه أنهم يفعلون ذلك في المآل والمستقبل، والإتيان بالفعل المضارع فيه زيادة فائدة وهي إفادية التجدد والحديث المستمر إذ لم يلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال . وهذا ما يلحظ في فعل "ويصدون" ثالثها : أن يقال هو مضارع أريد به الماضي عطفا على كفروا، رابعها : أن يقال هو على إضمار مبتدأ أي وهم يصدون. [٣١]

خامسها : عدها بعضهم من الإلتفات من الماضي إلى المستقبل وبالعكس لحكمة وهي أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقيا أنه قد مضى عليه زمانه ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه إنما يثبت حال حصوله له يعني بذلك فهو في كل وقت كافر مالم يأت بالإيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله : ويصدون عن سبيل الله مشعرا بأنهم فى كل وقت كذلك. [٣٢]

أما الجزء الثاني من الشبهة وهي زعمه أنه لم يأت بخبر "إن" لذا فلم يتم الكلام وبقي السامع منتظرا شيئا فقد أجاب العلماء عنها بعدة أجوبة :

أولها : قدر ابن عطية : خبر"إن" محذوف بعد "والباد" وتقديره : خسروا وهلكوا. ثانيها : قدره الزمخشري بعد الحرام وتقديره : نذيقهم من عذاب أليم حيث قال : وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره "إن" الذين فهو كذاك. [٣٣] وقد فضل أبو حيان تقدير الزمخشري على تقدير ابن عطية لدلالة الجملة الشرطية عليه، وهذا يلحظ الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم. وكل من ارتكب فيه ذنبا من جهة اللفظ، أما ابن عطية فقد نظر لها من جهة المعنى، لأن من أذيق العذاب خسر وهلك.

ثالثها : قيل الواو في "ويصدون" زائدة وهو خبر إن وتقديره إن الذين كفروا يصدون. وقد ضعف ابن عطية هذا الوجه. [٣٤]

رابعها : قيل : يصدون حال من فاعل "كفروا" وخبر إن محذوف دل عليه آخر الآية أي معذبون. فيكون المعنى للآية : إن الذين كفروا ومستمرون في صدهم عن سبيل الله معذبون في نار جهنم. والعياذ من ذلك.

فمن هنا يظهر أن المعنى ليس فيه بتر بل هو تام بالتقدير، ولكن هذا الأمر يصعب فهمه وإدراكه على هؤلاء المستشرقين الذين لا يدركون أسلوب العربية وأسرارها. والحاصل ليس في القرآن الكريم كلام مبتور. وإنما الذي حصل هنا هو من أساليب اللغة العربية وأسرارها . ما لايدركه كثير من غير الناطقين بهذه اللغة.

المثال الثاني :

أردف "سيل" هذه الآية بقوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. هذا أيضا كلام ناقص، لأنه جاء بفعل متعد وهو يرد ولم يأت بمفعوله ثم قال: نذقه من عذاب أليم.

وكان المقام يقتضي أن يقول العذاب الأليم أو عذابا أليما بحذف "من" البعضية، اللهم إلا أن يكون أراد التبعيض فيصح حينئذ من الكلام مبناه لكن يفسد مغزاه، إذ تذهب النكتة المرادة وهي الوعيد الشديد لمن يريد فيه بإلحاد بظلم فيطمع في أنه لايصيبه ألا بعض الذي يستحقه.[٣٥]

الجواب :

بالنسبة لمفعول "يرد" للعلماء فيه أقوال منها :

١- قدره أبو عبيدة هو بإلحاد والباء زائدة في المفعول.

٢- منهم من قال : فعل "يرد" مما ترك مفعوله وذكر حكمة تركه الزمخشري بقوله : وذلك ليتناول كل متناول كأنه قال : ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد طالما "نذقه من عذاب أليم" يعني أن الواجب على كل من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده.[٣٦]

أما بالنسبة لحرم مكة فمجرد الهم بالمعصية يعذب عليها الإنسان وفي ذلك مبالغة في الزجر والنهي عن الإحداث فيه وهذا ليس فيه أدنى تشجيع لاقتراف الآثام كما زعم "سيل" أما بالنسبة لـ"من" ففيها قولان : الأول : أن تكون"من" للجنس أو للتبعيض ولكل من المعنين مغزاه وفوائده. فإذا كانت "من" للجنس يبقي التهديد والوعيد على أصله وبابه حيث هددوا بإذاقة العذاب الأليم.

القول الثاني : أما إذا كانت "من" للتبعيض فمعناه أن إرادة الظلم والإلحاد والهم بهما أقل من ارتكابهما فعلا فتبقى عقوبة الإرادة والهم أقل من عقوبة ظلم.

ويناسب الفعل المقام في أن تأتي "من" التبعيضية في السياق فيكون إذاقته من عذاب أليم أي بعض أنواع العذاب الأليم.

وهذه خصوصية للحرم دون غيره من الأماكن. لأن الإنسان لايسأل عن همه وعزمه إلا في الحرم ويؤكد هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : إذا

تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا اكتبها له حسنة ما لم يفعل، فإذا عملها فأنا اكتبها له بعشرة أمثالها. وإذا تحدث بأن يفعل سيئة فأنا أغفرها ما لم يفعلها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثله.[٣٧]

فمن هنا يظهر أن كل تخيلات "سيل" باطلة وتدل على جهله بالأسلوب العربي البديع وما يحويه من أسرار ودقائق.

مناقشة الشبهة السادسة والرد عليها :

ونقول بنسبة الشبهة السادسة بأن حقيقة التكرار : أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني. فالتكرار الذي يأتي ينبغي أن يكون لضرورة وهذا هو الموجود في القرآن الكريم فليس في القرآن تكرار بلا ضرورة ولا فائدة.

فوائد التكرار :

للكترار فوائد كثيرة. فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وإرادة الأفهام وتقريره في النفس. وكذلك إذا كان المعنى متحدا. وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين.

فالقرآن الكريم ليس فيه كلمة ولا حرف وضع بلاضرورة ولا فائدة، وليس فيه ما يقلق المعنى أوغير ذلك من الأسباب المضعفة للأسلوب العربي ولفصاحته. فالتكرار في القرآن الكريم له صبغة خاصة اقتضت تفرده على غيره فدواعي التكرار في القرآن دواعي كلية موضوعية أي أنها أشبه ما تكون بالقواعد والقضايا العامة. ومن هنا اتبع القرآن في التكرار نمطا متميزا لايمكن لأحد أن ينسج على منواله أو يقرب من مجاله.

وقد أضاف هذا النمط المتميز لونا فذا إلى ألوان الإعجاز التي ثبت في آيات القرآن الكريم مما طأطأ له رؤوس أعلام البلاغة وأمراء البيان أما دواعي التكرار في القرآن فكثيرة فمن أهمها :

١- أن الله – سبحانه وتعالى – كان إذا كرر القصة زاد فيها شيئا ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى – عليه السلام – وذكرها في موضع أخر ثعبانا وفائدة ذلك أن ليس كل حية ثعبانا وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في أخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة.

٢- تسلية قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – بذكر مما اتفق عليه للأنبياء مثله قال تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) (هود : ١٢٠).

٣- أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لايخفى ما فيه من الفصاحة.

٤- أن الله – تبارك وتعالى – أنزل القرآن وأعجز العرب والعجم عن الإتيان بمثل آية من آياته لبيان صحة نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبروا.

٥- أن هذا القرآن الكريم أنزله الله للناس كافة. أي أنه كتاب جماهيري بالتعبير العصري الحديث. وذلك يقتضي التكرار قضاياه ومضامينه ليكون الناس على ذكر بها والتزام لتشريعاته.

٦- تكرار الجملة أو الحرف في القرآن بسبب ما يتعلق أو يبني عليها أو يتجدد منها من استنباطات أو دلالات تستخرج من تحري الحكمة في تكرار المكرر. [٣٨]

٧- ومن الأمثلة التي علق عليها "سيل" آماله لتحقيق مطاعنه من هذا الجانب تكرار المثال الأول "إذ" و"إذني" في آية واحدة في سورة المائدة عدة مرات، وهي قوله تعالى: (وإذ علمتك بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص فإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات) (المائدة: ١١٠).

أما تكرار "إذ" و"إذني" في هذه الآية فلاتخلو من فائدة إذ بمعنى الحين أو الوقت. وبما أن هذه النعم قد امتنها الله سبحانه على عيسى – عليه السلام – عبده ورسوله في أوقات متباينة متطاولة لذا ناسب تكرار "إذ" الحينية حتى لايتسبب التطاول بين الوقت إلى الوقت لإهمال ونسيان هذه النعم. فتكرارها إذن يشعر باستمرار هذه النعم وشكر المنعم والمتفضل فيها.

أما تكرار كلمة "بإذني" فهي في غاية البيان والدقة، وكذلك لاتخلو من فائدة فعند ما اعتقد بنو إسرائيل في عيسى أنت "إله" أو "ثالث ثلاثة" لذا كان يتبادر إلى إذهان بعضهم أن هذا كله يأتي من عند نفسه وبخاصة أنها من النوع الذي لا تماثله أفعال الناس ولاتقدر عليه طاقاتهم فكان تكرار هذه الكلمة "بإذني" لإزالة الوهم. لأن عيسى – عليه السلام – لم يأت بشئ من خوارقه إلا بإذن الله سبحانه وبتمكينه من ذلك.

إلا أن هذه النكات البلاغية والدقائق اللغوية والأساليب البيانية بعيدة عن حسن الملاحدة لايستشفها إلا المعايشون لهذه الأساليب القرآنية المعتقدون بالهدايات الربانية منها. أما الحاقدون من المستشرقين المحجوبون عن نور الهداية فلايفقهون إلا ظاهرا من القول.

المثال الثاني على التكرار :

اشتشهد "سيل" بقوله تعالى: (ليس على الذين أمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وأمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) (المائدة: ٩٣). وزعم أنه كرر قوله "وعملوا الصالحات" مرتين "واتقوا" ثلاث مرات بلاضرورة. [٣٩]

الجواب :

وقف العلماء عند تكرار هذه العبارات وقفات. مبينين فيها النكتة البلاغية في هذا التكرار.

أما تكرار العمل الصالح وذلك لإبراز أهميته. حيث قرر في الآية أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شئ طعموا من المباحات إذا ما اتقوا المحارم وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح. وفي ذلك إشارة إلى أن العمل الصالح من مستلزمات الإيمان المطلوب المحافظة عليه. لأنه أساس العمل المقبول عند الله سبحانه وتعالى [٤٠]

أما تكرار الاتقاء فقد ذكر المفسرون في ذلك عدة أقوال منها :

١- قول الأكثرين : أن الأول عمل الاتقاء. والثاني دوامه والثبات عليه. والثالث اتقاء ظلم العباد مع ضم الإحسان.

٢- أن الاتقاء الأول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول هذه الآية. والاتقاء الثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الآية. والاتقاء الثالث ما يحدث تحريمه بعد هذه الآية.

٣- اتقاء الكفر. ثم الكبائر. ثم الصغائر. وقيل غير ذلك. [٤١]

وهكذا نرى أن التكرار أمر لطيف يعرفه أصحاب العربية والمتقنون لأساليبها ويغيب عن أفهام هؤلاء الملاحدة المتعبين أنفسهم في محاولة إيجاد الخلل في هذا الكتاب ولن يستطيعوا - إن شاء الله - لحفظ الله سبحانه له.

نتائج البحث :

من خلال هذا العرض والدراسة التحليلية المتأنية. والمناقشة العلمية الهادئة فقد وصلنا إلى النتائج التالية :

١- إن المعجزة أمر خارق للعادة لاتخضع للأسباب والمسببات. ولايمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي، بل هي براهين من الله إلى عباده بصدق رسله وأنبيائه.

٢- إن القرآن الكريم أكبر معجزة محمد الخالدة تدل على صدقه وصحة نبوته وخاتمة كتبه ورسالته.

٣- إن القرآن الكريم كتاب معجز يعجز الإنس والجن جميعا على أن يأتوا بمثل القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

٤- أجمع العلماء على أن القرآن معجز بذاته أي أن إعجازه إنما كان بفصاحة ألفاظه وروعة بيانه وفي علومه وحكمه وفي تأثير هدايته وإخباره عن الغيوب وسلامته عن الاختلاف وأسلوبه الفريد الذي لايضارعه فيه أي أسلوب لامن نثر ولا من شعر.

٥- القدر المعجز من القرآن الكريم هو السورة الواحدة من القرآن الكريم سواء كانت طويلة أو قصيرة، وهذا هو رأي جمهور العلماء والمذهب الراجح.

٦- وقد اعترف بإعجاز القرآن الكريم فصحاء العرب وبلغائهم أمثال الوليد بن المغيرة، عتبة بن أبي ربيعة ولبيد بن ربيعة وغيرهم ولم يرفض ذلك إلا بعض المستشرقين المعاندين والمتعصبين وعلى رأسهم المستشرق "سيل".

٧- لا يوجد في القرآن الكريم كلام متناقض ولامتعارض ولا كلام مبتور ولا الأغلاط التاريخية والأخطاء الأدبية ولا تكرار كلمة أو حرف بلا ضرورة ولا فائدة التي تخل بفصاحته وإعجازه. كما زعم المستشرق "سيل".

٨- وقد وقع المستشرقون في هذه الورطة معتمدين أحيانا على الأحاديث الضعيفة والموضوعة ومتأثرين بالمرويات الواهية والقصص والخرافات التي لاعلاقة لها بالإسلام.

٩- عدم وقوف المستشرقين وعدم إدراكهم على جانب الإعجاز في كتاب الله العظيم هذا عائد إلى عجزهم وضعفهم وقصور علمهم وجهلهم بأساليب اللغة العربية وأسرارها وفقهها.

١٠- ويجب أن يدرك "سيل" وزمرته من المستشرقين أن القرآن الكريم كتاب معجز وهو الكتاب السماوي الوحيد الأخير الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، وقد حفظ من التبديل والتغيير والتحريف، حيث قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحج: ٩).

لمراجع والمصادر :

١- جرجس سيل. هو مستشرق انجليزي. مولدا ومنشأ. كان من المشتغلين بعلم الفقه. إلا أنه أولع بدراسة لغات الشرق ولاسيما اللغة العربية وعلومها فبلغ منها مبلغ عظيما. ويعتبر من أكثر المستشرقين حقدا وخطرا علي المسلمين ومن أكثرهم أخطاء في كثير من القضايا التي طرحها خاصة في كتابه : أسرار القرآن وما كتبه عن القرآن في كتابه : مقالة في الإسلام. راجع لمزيد من المعلومات علي حياته : *موسوعة المستشرقين* لعبد الرحمن البدوي.

٢- د. مصطفي مسلم: *مباحث في إعجاز القرآن*، (جدة : دار المنارة. ط ١، ١٩٨٨م) ص ١٤.

٣- جلال الدين السيوطي: *الاتقان في علوم القرآن* (القاهرة : طبعة مصطفى البابي، ط ٣، ١٩٥١م) ج٤، ص ٣.

٤- محمد علي الصابوني : *التبيان في علوم القرآن*،(بيروت: مؤسسة مناهل العرفان،ط١٩٨١،٣م)، ص ١٠١-١٠٢.

٥- د. مصطفي مسلم : *مباحث في إعجاز القرآن* ، ص ٣٥.

٦- جرجيس سيل :*أسرار عن القرآن* (ط ١٨٩١م) ص ٢٥.

٧- المصدر السابق. ص : ٤٤.

٨- *أسرار عن القرآن*. المصدر السابق، ص: ٥٢.

٩- *أسرار عن القرآن*. المصدر السابق، ص ٧٢.

١٠- المصدر السابق، ص ٨٩.

١١- *أسرار عن القرآن*. المصدر السابق، ص ٣٥-٤٤؟

١٢- آل عمران : ٧. وهي قوله تعالى : (هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات).

١٣- *تفسير الطبري* (مصر : طبعة دارالمعارف ١٣٨٤) ج ١، ص ٧٥.

١٤- *صحيح البخاري* للإمام أبي عبد الله البخاري (استانبول : المكتبة الإسلامية، ١٩٧٩م)، ج ٦، كتاب التفسير. ص ٣٥-٣٦.

١٥- *أسرار عن القرآن*، ص ٣٦.

١٦- الزمخشري : *الكشاف* . (بيروت : دار المعرفة د. ت)، ج ٢، ص ٢٥٢.

١٧- *الكتاب المقدس- سفر الخروج-* الإصحاح الرابع عشر.

١٨- د. موريس بوكاي : *التوراة والإنجيل والقرآن والعلم*، (طبعة دار الكندي) ص ٢٠٤.

١٩- المرجع السابق، ص ٢٠٣.

٢٠- *التوراة والإنجيل والقرآن والعلم*، ص ٢٠٦.

٢١- المرجع السابق، ص ٢٠٣.

٢٢- *أسرار عن القرآن* ص ٤٥.

٢٣- البيضاوي: *تفسير البيضاوي* (بيروت : دار الفكر د. ن) ص ٧١.

٢٤- عبد الوهاب النجار : *قصص الأنبياء* (بيروت : دار إحياء التراث العربي)، ط ٣ ،ص ٣٧٣-٣٧٤.

٢٥- أبوحيان الأندلسي : *البحر المحيط* ، (بيروت : دار الفكر، ط ٢، ١٩٧٨م)، ج ٦، ص ٢٠.

٢٦- أبو الأعلى المودودي: *الحجاب* (بيروت : مؤسسة الرسالة)، ص ٢٢-٣٠.

٢٧- *أسرار عن القرآن الكريم* ص ٦٩-٧١. ومع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش للدكتور زاهر الألمعي. ص ٢٣.

٢٨- غوستاف لوبون: *حضارة العرب* ، ترجمة عادل زعيتر(بيروت : دار إحياء التراث ط ٣، ١٩٧٩م)، ص ١٤٢).

٢٩- سيد قطب: *في ظلال القرآن* (بيروت : مطبعة إحياء التراث، ط ٧، ١٩٧٨م)، ج ٥، ص ٢٨٦٨.

٣٠- حسين هيكل : *حياة محمد*، (القاهرة : دار الكتب المصرية) ، ص ٣٢٦ وما بعدها.

٣١- فخر الدين الرازي : *التفسير الكبير ومفاتيح الغيب* (بيروت : دار الفكر ط ٣، ١٩٥٨م)، ج ٢٣، ص ٢٤.

٣٢- أبو حيان الأندلسي: *تفسير البحر المحيط* (بيروت : دار الفكر، ط ٢، ١٩٧٨م)، ج ٦، ص ٣٢٦.

٣٣- *تفسير الكشاف* ، ج ٣، ص ١٠.

٣٤- د. عمر بن إبراهيم رضوان: *آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره* (الرياض : دار طيبة، ط ١، ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٦٥٧.

٣٥- *تفسير البيضاوي* ، ص ٤٤٢.

٣٦- *أسرار عن القرآن الكريم*، ص ٧٢.

٣٧- *تفسير البيضاوي* ، ص ٤٤٣.

٣٨- أحمد بن حنبل :*المسند* (بيروت : دار الفكر) ج ٢، ص ٣١٥.

٣٩- د. عبد المنعم السيد حسن : *كتاب ظاهرة التكرار في القرآن الكريم* (ط ١، ١٩٨٠م)، ص ٢٢-٣١.

٤٠- *أسرار عن القرآن*. ص ٧٩.

٤١- الزمخشري : *الكشاف* ج ١، ص ٦٤٣.

٤٢- فخر الدين الرازي : *التفسير الكبير* ، ج ١٢، ص ٨٩.